الكتب

تاريخ الفلسفة اليونانية

تأليف الأستاذ يوسف كرم

المدرس بكلية الآداب

بقلم الدكتور ابراهيم بيومي مدكور

منذ عام تقريباً ندبنا على صفحات « الرسالة » حظ الفلسفة في بلدنا ؛ وأخذنا على العامة ازدراءهم لها وإعراضهم عنها وجهلهم بها ، وساءنا من الخاصة أنهم لا يأخذون بيدها ولا يقومون على نشرها ولا يحببون الناس فيها [1] ، وربما كان قسط الخاصة من شكوانا أعظم من غيرهم ؛ فانهم إن قاموا بواجبهم وكتبوا لنا فلسفة بلغة العصر وروح العصر اجتذبوا القراء إليهم ورغبوهم في أبحاثهم . وكم شكا عشاق الفلسفة — وحق لهم أن يشكوا — من أنهم لا يجدون منها في العربية الغذاء الكافي لأرواحهم وعقولهم ، وكأني بهذه الشكوى جاءت إرهاصاً لما بعدها وإعلاناً عن نقص اتفقت عليه الآراء ، ولا أدل على هذا من أن لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وهي أعرف ما يكون بحوائج البلد العلمية ووسائل مدها ، قد وجهت عناية خاصة في هذا العام إلى الدراسات

(١) مذكور ، « الرسالة » (العدد ١٢٥) ص ١٨٨٩ — ١٨٩٠

كشف المحجوب مع ترجمة وتعليق بقلمه (١٩١١) وأشعار عمر الخيام ترجمة وتعليق ١٩٠٩ والسعودي وغير هذه من الكتب القيمة . وهو يعيش اليوم في هدوء الشيخوخة بين أسفار الأدبين العربي والفارسي . ولكتابه في الأدب العربي قيمة ممتازة بين كتب المستشرقين تتجلى في سداد بحثه ووضوح أسلوبه واستقامة منهجه وقوة إدراكه لمختلف الآثار والعوامل التي طبعت أدب العرب في كل عصر وفي كل بيئة

الفلسفية وأخرجت لنا خمسة كتب في نواحيها المختلفة [1]

ومن بين هذه الكتب تاريخ الفلسفة اليونانية الذي وضعه زميلنا الأستاذ كرم بعد خبرة طويلة وتجارب عديدة ، فقد وكل إليه تدريس الفلسفة بكلية الآداب بالجامعة المصرية منذ عشر سنوات أو يزيد استطاع فيها أن يعرف فلاسفة الأغريق عن قرب وأن ينفذ إلى صميم أفكارهم . ويقع مؤلفه في ثلثمائة وخمسين صفحة تقريباً من القطع الكبير درست فيها المدارس الفلسفية اليونانية منذ عهد الشعراء إلى أواخر أيام مدرسة الأسكندرية ؛ وذيلت ببيان عن المراجع الهامة وقاموس مفيد في الأعلام والألفاظ الفلسفية . وينقسم هذا الكتاب إلى خمسة أقسام : مقدمة وأربعة أبواب . ففي المقدمة يعرض المؤلف للفكر اليوناني قبل الفلسفة ويتحدث عن عصر الشعراء والحكماء السبعة ، وفي الباب الأول يدرس الطبيعيين الأول والمتأخرين والفيثاغوريين ، والايليين ، والسفسطائيين ، وسقراط الذي يفصل بين مرحلتين متميزتين من مراحل تاريخ الفلسفة ؛ ويقف الباب الثاني على أفلاطون ، والثالث على أرسطو . أما الباب الرابع والأخير فيتكلم فيه عن صغار السقراطيين والأبيقوريين وأصحاب الرواق والشكاك ورجال مدرسة الأسكندرية . وإنا لنلحظ في هذا التقسيم أنه عني عناية خاصة وجديرة بالتقدير بالشخصيتين العظيمتين في تاريخ الفلسفة اليونانية وهما أفلاطون وأرسطو ؛ فقد درس كل واحد منهما في باب مستقل ، وليس هذان البابان من الأبواب الصغيرة ، فحديثه عن أفلاطون يقع في ست وستين صفحة ، وترجمته لأرسطو تشغل ما يزيد على ثلث الكتاب جميعه (١٣٤ ص)

وفي الواقع لقد وزن المؤلف المدارس الفلسفية الأغريقية

(١) نشير هنا إلى كتاب البراجاترم ليعقوب أندى فام ، وعرض تاريخي للفلسفة والعلم تأليف وترجمة الأستاذ خلاف ، وفلسفة المحدثين والمعاصرين تأليف وولف كذلك وترجمة الدكتور أبو العلا عفيفي ، وموسى بن ميمون تأليف الدكتور ولفنسون ثم إلى الكتاب الذي نتحدث عنه

بميزان صحيح وقسم بحثه بينها قسمة عادلة ومتناسبة دون أن يفوته منها شيء هام ، اللهم إلا أصحاب مذهب الاختيار الذين أهملهم رأساً وبعض شراح أرسطو في الدور الأخير وفي مدرسة الأسكندرية بوجه خاص أمثال الأسكندر الأفروديسي ، وسمبليسيوس ، وثامسبتوس ، الذين لم يشر إليهم إشارة كافية . وبالرغم من تشعب هذه المدارس وتعددها فقد عرضها في صورة مرتبة مهذبة ، وقسم أبحاثه إلى أبواب وفصول وفقرات هي غاية في الدقة والوضوح . وليس بغريب أن يعنى مدرس بوسائل العرض والإيضاح ! فهذه سنته كل يوم في دروسه ومحاضراته . وهي سنة صالحة من غير شك ومعينة على تذليل بعض الصعاب التي يلاقيها القارئ في أبحاث دقيقة كهذه . وقد ضم المؤلف إلى هذا حسنة أخرى ، نختم كثيراً من مباحثه بنظرة عامة وربط تاريخي شائق[1]

ليس صعباً على من يدرس الفلسفية اليونانية أن يجد المصادر التي يستق منها ، فهي كثيرة ومتنوعة ؛ إنما الصعب أن يختار من بين هذه المصادر أصلحها . وقد وفق المؤلف في هذه كما وفق في غيرها ؛ فقد اعتمد فيما وراء أفلاطون وأرسطو على أوثق مصادر الفلسفة اليونانية . وكنا نفضل أن يحيل على هذه المصادر في صلب الموضوع بدل أن يكتفي بسردها في الفهرست . وفيما يتعلق بأفلاطون وأرسطو سلك سبيلا يحمد عليها ؛ فقد درسهما دراسة مباشرة وقدم لنا صورة ناصعة عن مؤلفاتهما وحكم عليهما بناء على ما قالا لا اعتماداً على ما قال الناس عنهما . وهذه الطريقة علمية قطعاً ومعينة على تفهم الفيلسوفين على ضوء ما كتبنا . غير أنها مدعاة التكرار والاستطراد أحياناً ، كما قد تسوق إلى سرد تفاصيل جزئية قليلة الفائدة وفي حذفها ما يفسح المجال للمشاكل الهامة[2] . ذلك لأن الملخص قد يؤخذ أحياناً بما هو أمامه وينسى بحثه الرئيسي . وعلى كل فلئن فات المؤلف إبراز بعض المشاكل الأفلاطونية والأرسطية في ثوبها الكامل لقد نجح نجاحاً كبيراً في إعطاء فكرة صحيحة عن مؤلفات أفلاطون وأرسطو وتاريخهما على وجه حسن . وكنا نود أن تستخدم المصادر العربية في بحث كهذا ؛ وفي استخدامها ما يسمح بتحقيقات ومقارنات علمية وتاريخية جديدة فاتت مؤلفي الغرب ومؤرخيه ، وقد تنبه زميلنا إلى هذه النقطة في بعض الفصول ، إلا أنه لم يلتزمها في كل بحثه[1]

(١) انظر مثلا ص ٤٤ ، ٦٥ ، ٩٦ — ٩٧ ؛ الخ

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ — ١١١ ، ٢٢٦ — ٢٢٨ ، ٢٤٦ — ٢٤٩

الأستاذ كرم هادئ في كل شيء ؛ هادئ في أسلوبه ، فلا يحفل بالتراكيب الضخمة والعبارات الطنانة ، وما أحوج اللغة العلمية إلى هذا الهدوء . فهو يكتب كتابة موضوعية كل همه فيها أداء المعاني العلمية في عبارة مقبولة . بدأ كلامه وختمه بالتحدث عن الفلسفة وتاريخها دون أن ترى في أسلوبه حشواً أو فضولاً . إلا أنه قد يصل به حبه للإيضاح أحياناً إلى استعمال بعض الألفاظ والتراكيب الدارجة بالرغم من ابتذالها أو ضعفها . ومع هذا ينبغي أن نشير الى المجهود الصادق الذي بذله في اختيار الألفاظ العربية الملائمة لأداء الأفكار الأجنبية . وقد كلل هذا المجهود بذلك القاموس اللغوي الاصطلاحي الذي ختم به كتابه . وفي اختصار لقد استطاع أن يقدم لنا تاريخ الفلسفة اليونانية في قالب علمي لا بأس به . وهذه ناحية يجب أن يتنبه لها الباحثون إن كنا نريد لأنفسنا لغة علمية محترمة . وها كم قطعة من قلم المؤلف يلخص فيها الفلسفة الأفلاطونية ويبين أصولها ومميزاتها يقول : « أما أسلوبه (يعني أفلاطون ولو قال أما مذهبه أو طريقته لكان أولى) في الفلسفة فهو التوفيق والتنسيق : لم ير في تعارض المذاهب سبباً للشك مثل السوفسطائيين ، وإنما وجد أنها حقائق جزئية ، وأن الحقيقة الكاملة تقوم بالجمع بينها وتنسيقها في كلٍّ مؤتلف الأجزاء . وطريقة التوفيق حصر كل وجهة في دائرة ، وإخضاع المحسوس للمعقول ، والحادث للضروري ، فنحن نجد عنده تغير هرقليطس ، ووجود بارمنيدس ، ورياضيات الفيثاغوريين وعقيدتهم في النفس ، وجواهر ديموقريطس ، وعناصر أنبادوقليس ، وعقل أنكساغورس فضلاً عن مذهب سقراط ، وسندل على هذه الظاهرة كلما صادفناها ، وثمت ظاهرة أخرى هي محاولته تحويل العقائد الأرفية آراء فلسفية ، أي وضعها في صيغة عقلية ودعمها بالدليل . فهو لم يزدر شيئاً من تراث الماضي ، وأراد أن ينتفع بكل شيء ، ثم طبع هذا التراث بطابعه الخاص ، وزاد فيه فتوسع وتعمق إلى حد لم يُسبَق إليه »[2]

والأستاذ كرم هادئ كذلك في مناقشاته وأحكامه ، فهو يناقش النظريات الفلسفية في هدوء وسكون ، ويحكم على مختلف

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٦٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٣

الآراء أحكاماً بعيدة فى جملتها عن الشطط والمغالاة . بيد أن هدوءه هذا قد يؤخذ عليه ، وكم كنا نوده عنيفاً نوعاً فى بعض المواقف . فان هدوءه دفعه إلى تبسيط المسائل إلى درجة ربما ضاع معها لبها ، ولم يمكّنه من استيفاء بعض المشاكل التاريخية . فلم يثر مثلاً أسئلة كهذه : هل سقراط أو ميتافزيق ؟ وكيف تفسر الرموز (Les mythes) فى أسلوب أفلاطون ؟ وعلام يحمل التذكر (la réminisceuce) عنده ؟ ولم يفصّل القول فى مشكلة الآله عند أفلاطون ونظرية العقل عند أرسطو تفصيلاً مقنعاً ومرضياً ، وكأنه تناسى ما كتبه الباحثون السابقون هذه فى المسائل واكتفى بعرضها كما يرى هو دون أن يبين آراء الآخرين . وقد حال هدوء المؤلف أيضاً دونه والاسترسال فى النقد بعض الشيء . نحن لا ننكر أنه نقد طائفة من الآراء والنظريات التى عرضها فى حكمة ودقة ؛ ولكنا كنا نتمنى أن يعنى بالنقد أكثر من هذا وخاصة فى دراسة الفلسفة الأرسطية ، ويظهر أن الخلاف بيننا وبينه فى هذه النقطة راجع إلى المبدأ ووجهة النظر ؛ فانه فيما يبدو لنا ، يرى فى أرسطو الكمال والتبرؤ من كل نقص وخطأ ، وهذا رأى قد لا يقره عليه كثيرون الآن

وكيفما كانت الاعتراضات التى يصح أن توجه إلى تاريخ الفلسفة اليونانية فانه يحوى أكبر وأنفس مصدر عربى عرف حتى اليوم فى هذه الناحية ، ولم يدع مؤلفه أنه جاءنا بنظرية جديدة أو طريقة مبتكرة فى دراسة تاريخ الفلسفة ؛ وكل ما صنع أنه قرأ ودرس ومثّل فى تأن وتؤدة ، ثم استخلص من قراءته ودراسته تلك الثمرة الطيبة . وهو لم يمنّنا مطلقاً بأمان ولم يعدنا بوعود حتى نحاسبه على إنجازها ؛ بل ترك تاريخ الفلسفة يتحدث عن نفسه ، ولم يزل هذا التاريخ فى حديثه حتى انتهى إلى مرحلة نرجو أن تكون أخيرة لا آخرة . ويقيننا أن من بدأ تاريخ الفلسفة على هذا النحو وبهذا التوفيق لا بد واصل إلى نهايته

ابراهيم مدكور

بشرى لعشاق التاريخ الاسلامى

تقوم أكبر دور النشر بالمغرب ، وهى المكتبة التجارية الكبرى بفاس وتطوان بعمل جليل تزفه إلى عشاق التاريخ الاسلامى فى الأقطار العربية كافة ، ذلك أنها اعتزمت طبع أثرين نفيسين ، أولهما :

١ — تاريخ ابن خلدون

وهو الموسوعة التاريخية الخالدة ، التى وضعها أكبر رأس عربى مفكر ، بعد أن أشرفت على تحقيقها وضبط أعلامها وتصحيح أخبارها ومراجعتها على النسخ المخطوطة منها ، ثم التعليق عليها — لجنة علمية من أئمة مؤرخى المغرب وكبار علمائه . أضف الى ذلك أن عليه حواشى وتعليقات لا حاجة بنا الى إطرائها وبيان قيمتها ، بعد أن تصرح باسم صاحبها أمير البيان وكاتب الشرق الأكبر : (الأمير شكيب أرسلان) — وفوق ذلك كتب مقدمة التاريخ الأستاذ الكبير العلامة أحمد أمين

وسيصدر فى خمسة عشر جزءاً . وقد صدر الجزء الأول وشرعنا فى طبع تعليقات الأمير شكيب أرسلان على الجزء الأول مستقلة فى مجلد واحد مكون من ٥٠٠ صفحة وسيصدر مع الجزء الثانى بعد عشرين يوماً وقد اطلع الراغبون فى هذا الكتاب على إعلان بجريدة الأهرام ، ففهموا أن الاشتراك يكون فى جزء واحد وقدره ١٥ قرشاً عدا أجرة البريد وقدرها ثلاثون ملياً فى مصر ومائة مليم فى الخارج من مختلف الأقطار العربية كالعراق والسودان وغيرها ، فتوالت علينا الرسائل على هذا الأساس ؛ ونرجو أن يعلموا أن الاشتراك لا بد أن يكون فى جزءين ، فيدفع المشترك ٣٠ قرشاً ، ويتسلم الجزء الأول ثم إذا تم الجزء الثانى وتسلمه أرسل ٣٠ قرشاً أخرى ، وهكذا

أما الأثر النفيس الثانى فهو :

٢ — الحلل السندسية

فى الأخبار والآثار الأندلسية

وهو أكبر دائرة معارف للأندلس ، تحيط بكل ما جاء عن ذلك الفردوس المفقود ، عن جميع ملوك الأندلس ومآثره العربية وبه مجموعة كبيرة من الصور بقلم أمير البيان وفخر العروبة فى هذا الزمان :

الأمير شكيب أرسلان

وقد تم طبع الجزء الأول منه . أما الاشتراك فيه ، فقبل الاشتراك فى تاريخ ابن خلدون

والاشتراكات ترسل باسم السيد محمد المهدى الحبابى وعنوانه : بالمطبعة الرحمانية بالخرنفش ، أوصندوق بريد النورية بالقاهرة ؛ أو لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الكرداسى رقم ٩ عابدين ويطلب الكتابان من إدارة مجلة الرسالة

ومن أرسل قيمة الاشتراك فى ابن خلدون أو فى الحلل السندسية أو فيهما معاً وصلت إليه الأجزاء بأقصى ما يمكن من السرعة

وستقبل الاشتراكات على هذا النحو لمدة أربعين يوماً للمقيمين بمصر . وستين يوماً للمقيمين بالخارج . وبعد ذلك ترفع القيمة

وأصدرنا إعلاناً من الكتابين يوزع مجاناً فى بيان كاف على بعض من الصور النفيسة للكتاب